الدواوين الإدارية في الدولة الساسانية (224-651م)

نهاد حميد العيبي البطبوطي علي عبد الحسين صبر

جامعة بغداد/ كلية تربية ابن رشد للعلوم الانسانية

المستخلص

أهتم الملوك الساسانيون بالدواوين لأنها لها دور في تحقيق التوازن بين موارد الدولة ونفقاتها ومنها ديوان الوزارة للإشراف على عمل جميع المؤسسات الحكومية وديوان الخدمات البريدية لنقل الرسائل بين الحكومة المركزية والولايات التابعة لها ومتابعة عمل الحكام والاطلاع على ما يجري في أطراف الدولة، وإعداد مكاتبات الملك الخارجية والداخلية وكانت إدارة المراسلات أحد ابرز الإدارات التي اعتنى بها الملوك وديوان الخاتم

لإنفاذ كتب السلطان والختم عليها ، ونسخ الكتب والرسائل والمخاطبات والأوامر الملكية ، اما ديوان الجيش عمل على ضبط إدارة الجيش من خلال المؤسسات التي تنظم الحياة العسكرية دونت فيه قبائلهم وصنوفهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم وأنواع الأسلحة ،وكذلك ديوان الأوقاف لإدارة أوقاف الدولة وإدارة الشؤون كل هذه الدواوين نظمت العمل الاداري في الدولة الساسانية.

الكلمات المفتاحية : الساسانييون – الدواوين– الادارة – الفرس

Administrative offices in the Sasanian state (224-651 AD)

Ali Abdul Hussein Sabr Nihad Hamid Al-Aibi Al-Batbouti

University of Baghdad / Ibn Rushd College of Education for Human Sciences

Abstract

The Sasanian kings paid close attention to the Diwans (government departments) because they played a crucial role in balancing state resources and expenditures. These included the Diwan al-Wizarah (Ministry of the Ministry), which oversaw the work of all government institutions; the Diwan al-Khidmat al-Baridiyah (Postal Services Department), which facilitated the transmission of messages between the central government and its provinces, monitored the work of governors, and kept abreast of events in the various regions of the state; and the Diwan al-Khatim (Seal Department), which was responsible for enforcing the sultan's decrees, sealing them, and copying books, letters, communications, and royal orders. The Diwan al-Jaysh (Army Department) managed the army through institutions that organized military life, recording the tribes and ranks of soldiers, their stipends and provisions, and the types of weapons used. Similarly, the Diwan al-Awqaf (Endowments Department) managed state endowments and other affairs. All these Diwans organized the administrative work of the Sasanian state.

Keywords: Sasanian Empire – Diwans (administration) – Persians

المقدمة

تعد دراسة التنظيمات الإدارية لدول الشرق الادنى القديم من الدراسات التاريخية المهمة لأنها تبين النتاج الحضاري للأمم التي شيدتها ، مما يفسح المجال أمام أبناء الأمم ليطلع بعضهم على ميراث بعض والإفادة منه ،فضلاً عن أنها تبين فلسفة أنظمة الحكم وأساليب الإدارة فيها ، ومدى قدرتها على تسيير عجلة الحياة في مجالاتها المختلفة.

لقد أشاد عدد من المؤرخين العرب بما خلّفهُ الساسانيون) (علي1989 ,م) (علي ا.، 1989م، الصفحات 158 – 198) من نظم ادارية، فقد ذكر (المسعودي) (ديورانت، 2001م، صفحة 402) أن الساسانيين (أحق أن يؤخذ عنهم ، لانهم كانوا أهل الرياسة والسياسة)، ثم ذهب (صاعد الاندلسي) (احمد، 1376 هـ، صفحة 89) ،الى مثل ما ذهب اليه المسعودي ، فذكر(ان أعظم فضائل

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

ملوك الفرس التي اشتهروا بها، حسن السياسة وجودة التدبير، ولاسيما ملوك بني ساسان)، وعليه فلابد لهذا التنظيم وجودة التدبير من مؤسسات تتولى إصدار الاحكام والقوانين والتشريعات، وأخرى تتولى تنفيذها بما يؤمن حسن الاداء .

هناك مجموعة من الدراسات السابقة اولت الإمبراطورية الساسانية شيئاً من التعريف بحضارتها وعظمتها وانظمتها االعسكرية والدينية وعلاقاتهم الخارجية ، **ولكنها لم تتناول الجوانب الأدارية بشكل تفصيلي ومنها الدوواوين، ومنها:**

1. (التأريخ السياسي للدولة الساسانية في المصنفات العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الخامس الهجري) للأستاذ الدكتور نصير عبد الحسين الكعبي في جامعة الكوفة بتاريخ 2002.
2. (العلاقات السياسية الساسانية – البيزنطية 226 –628 ق.م) للأستاذة الدكتورة مهدية فيصل صالح شاطي الموسوي في جامعة بغداد في عام 2006.
3. (النظم العسكرية عند الساسانيين (224–651/226م) للدكتورة أريج أحمد حسين شيخو في جامعة بغداد في عام 2014.

لقد اقتضت المادة التاريخية بمرجعياتها المختلفة ، ولاسيما النصوص المتعلقة بالإدارة ونظمها على إتباع المنهجين التحليلي والإحصائي في بعض مفاصل الدراسة ، والمنهجين الوصفي والمقارن في بعضها الآخر وبحسب ما تقتضيه مادة الموضوع وما يلائمها من عرض في محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية واستظهارها بصورة سليمة.

لقد أظهر الملوك الفرس اهتماماً بالغاً بالإدارة منذ العصور القديمة، فقد ذكر (الجهشياري) (عبدوس، 1938م، الصفحات 1 – 2) ، ان الملك لهراسب (أول من دون الدواوين وحصّن الأعمال والحسبانات). وقد ورث الساسانيون تنظيمات أسلافهم المالية وطوروها بما يتلاءم مع رؤيتهم في إدارة الدولة والتي عدوّ فيها المال والمقاتلة الدعامتين الرئيسيتين اللتين يستند إليهما بناء الدولة (يعقوب، 2002م، صفحة 735) ، ولهذا فقد عملوا على تحقيق التوازن بين موارد الدولة ونفقاتها من خلال اتخاذهم مؤسسات متخصصة لضبط الأمور المالية في الدخل والخرج (عبدوس، 1938م، صفحة 2) ويأتي في مقدمة تلك المؤسسات هي الدواوين الادارية .

المبحث الاول

وهذا الديوان هو دائرة كبير الوزراء ، ومن خلاله تتم إدارة أعمال الدولة والإشراف على عمل جميع المؤسسات الحكومية (سعيد، 1331هـ، صفحة 232) ، ومما لاشك فيه ان ديوان الوزارة كان يتولى تنفيذ الأوامر الملكية ومتابعة توجيهات السلطة التنفيذية ، وان متولي هذا الديوان يعرض أعماله بشكل يومي على كبير الوزراء ، وكان مقر ديوان الوزارة الى جانب القصر الملكي (محمد ا.، 1997م، صفحة 244) .

ثانياً: ديوان الخاتم:–

يعرف (إبن خلدون) (محمد ا.، 1984م، صفحة 264) الخاتم بانه من الخطط الساسانية والوظائف الملوكية ، وهو عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها ، أما بالعلامة أو بالحزم ، والحزم للكتب يكون بالصاق رأس الصحيفة على ماتنطوي عليه من الكتاب ثم يجعل على مكان الإلصاق علامة يؤمن معها من فتحه والإطلاع على ما فيه ، وفي معظم الأحيان كان يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش قد غُمس في مداف من الطين معد لذلك صبغه أحمر فيرتسم ذلك النقش عليه ويكون هو العلامة للسداد والحزم للكتب (محمد ا.، 1984م، صفحة 266) ، ومن هذا فإن وظيفة هذا الديوان متصلة بديوان الرسائل.

وقد كان الختم على الرسائل والوثائق والمعاهدات معمولاً به عند الساسانيين ، بل انهم عدوا وجود الاختام على الوثائق والرسائل شرطاً لاكتسابها الصفة الرسمية (محمد ا.، 1984م، صفحة 266) ، فيذكر أن الرسول (ص) أراد أن يبعث رسائل إلى ملوك الدول المجاورة فقيل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أذا كان مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، ويعد ديوان الخاتم من الدواوين الكبرى في الدولة الساسانية ويتضح ذلك من خلال الاهتمام الكبير للملوك الساسانيين بأختامهم وجودة صناعتها ونقوشها الجميلة (علي ا.، 1989م، صفحة 288).

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

وتقع على العاملين في هذا الديوان مسؤولية كبيرة ، فكان عليهم نسخ الكتب والرسائل والمخاطبات والأوامر الملكية ، ثم الاحتفاظ بنسخة منها ليتم مطابقتها مع الأصل (جابر، 1996م، صفحة 450) ، ونسخ الكتاب هو نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وإثبات صورتها الأولى (الرؤوف، 1410هـ، صفحة 697) ، فكان الملك إذا أمر أمراً وقّعه صاحب التوقيع (إيران دبيريذ) بين يديه ، وله كاتب يثبت عنده في تذكرةٍ تجمع كل شهر فيختم عليها الملك بخاتمه وتخزن أو تحفظ في هذا الديوان (جابر، 1996م، صفحة 446)، وكان متولي ديوان الخاتم يسمى (مهردار) أي حافظ الاختام ومهمته مطابقة ما يصدر عن الملك من أوامر وتوقيعات مع ما تم نسخه ، فأذا تأكد له ذلك أرسله إلى مأمور التنفيذ بعد أن يمهره بخاتم الملك (كمال، 1979م، صفحة 240) ، وإذا ما حدث شك في محتوى أي من الكتب الصادرة من البلاط تتم مطابقتها مع النسخة المحفوظة (جابر، 1996م، صفحة 446) ، وقد تشدد الملوك على كل من زوّر ، أو نقش خاتماً على خاتم الملك وعدّوا ذلك من الجنايات العظام. وكان للملوك الساسانيين كتابة خاصة تنقش بها خواتمهم تسمى (الكستج) وهي من ثمانية وعشرين حرفاً (إسحاق، 1987م، صفحة 20) .

ويبدو أن صناعة الاختام في العصر الساساني كانت من الصناعات الرائجة وقد بلغت مرحلة متقدمة من حيث جودة النقوش والخطوط والعبارات التي كانت تحملها ومواضيعها المتنوعة فكان بعضها يحمل صورة الملك، أو مشاهد صيد ، أو صور طيور أو حيوانات مفترسة (سعيد، 1331هـ، صفحة 201) ، وكانت الاختام الملكية تصنع من الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة (علي ا.، 1989م، الصفحات 288 – 289) ، أما أشكال هذه الاختام فغالباً ما تكون دائرية أو مثلثة الشكل (سعيد، 1331هـ، صفحة 202) ، وقد جعل الملوك الساسانيون لكل ديوان من دواوين الدولة ختماً خاصاً ، فكان هناك أختام للسر، والخراج ، والرسل ، والاقطاعات ، والجند ، والبريد ، والنقود والأوزان ، والأحكام ، والضرائب (الجهشياري، 1988، ص 116)، وذكر (المسعودي) (علي ا.، 1989م، الصفحات 288 – 289) إن للملك كسرى الثاني ثمانية أختام هي خاتم للرسائل والسجلات ، وآخر تختم به التذكرات ، وثالث تختم به أجوبة البريد ورابع تختم به الأحكام ، وخامس تختم به الخزائن الملكية وسادس تختم به كتب الملوك إلى الأفاق ، وسابع تختم به الأدوية والأطعمة والطيب ، وثامن تختم به أعناق من يؤمر بقتلهم.

ثالثاً: ديـوان الجيش (محمد ا.، 1997م، صفحة 123) :

ويسمى بالبهلوية (ديوان سباه) (سعيد، 1331هـ، صفحة 232) ، وهو من الدواوين القديمة التي عرفت في بلاد فارس ، فيذكر إن الملك لهراسب أول من انتخب الجنود وجدّ في عمارة الأرضين وجباية الخراج لأرزاق الجيش (عبدوس، 1938م، الصفحات 1 – 2) ، وهو أول من وضع ديوان الجيش لضبط العساكر (البلخي، 2001م، صفحة 54) ، وفي العصر الساساني صارت المؤسسة العسكرية جزءاً من فلسفة الدولة منذ قيامها (احمد ا.، 2005م، صفحة 121) ، ولهذا فقد جعل الساسانيون جل اهتمامهم على ضبط إدارة الجيش من خلال المؤسسات التي تنظم الحياة العسكرية وفي مقدمة تلك المؤسسات ديوان الجيش (محمد ا.، 1997م، صفحة 502) ، وكانت مهمة هذا الديوان هي إحصاء العساكر وتسجيل أسمائهم وأوصافهم ، وقبائلهم وصنوفهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم وأنواع الأسلحة ، واستدعائهم للحملات العسكرية ، وتثبيت أسماء الملتحقين الجدد ، وحذف المتخلفين أو من قتل في المعارك أو من أعفي من الخدمة (محمد ا.، 1984م، صفحة 83) ، وكان إحصاء العساكر في هذا الديوان مقتصراً على الفرسان من أبناء الأسر النبيلة وأشراف الدولة (عادل، 1981م، صفحة 81) ، أما المشاة الذين كانوا يُجمَعون على عجل وهم من الفلاحين وأهل القرى فكانوا يساقون إلى الحرب من غير أن يشجعهم أحد بالأجر أو بغيره من المثوبة (أرثر، 1982م، الصفحات 198 – 306) ، وذكر (الطبري) (جرير، 2005م، صفحة 404) في معرض حديثه عن معركة القادسية سنة (14 هـ) إن رستم قائد الجيش الساساني أقبل في جموع فارس (ستين ألفاً مما أحصي لنا في ديوانه سوى التباع والرقيق) ، بينما كان جيشه بأكمله يبلغ مائة وعشرين ألفاً من الفرسان والمشاة (جابر، 1996م، صفحة 256) ، وهذا يدل على أن الستين ألف مقاتل المسجلين في ديوان الجيش هم من الفرسان.

وجاء في (نهاية الأرب) (كمال، 1979م، الصفحات 186 – 187) أن اردشير الأول إذا ما أراد أن يختار أناساً ليسجلهم في ديوانه ويجعلهم من أساورته بعث رجلاً بصيراً بالرجال عارفاً بأنساب العجم ومراتب من سلف منهم فيختار الشباب من أولاد الأساورة فيأمر من

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

رضي منهم أن يسلم إلى معلمي الرمي والفروسية فاذا مهروا بذلك دعاهم صاحب الديوان فيرموا بين يديه لينظر رميهم وخفة ركابهم ، فإذا رضي عنهم أمر بإثبات اسمائهم في الديوان ، وينسبهم إلى شعوبهم وقبائلهم ، ثم يوجههم في البعوث والحروب ويوجه أميناً وعيناً عليهم لينظر جودة قتالهم ورميهم ورباطة جأشهم ومبلغ صبرهم وفعلُ رجل رجل ، فيكتب جميع ما يرى من ذلك ونسبه إلى صاحبه ، ويرسل الكتاب إلى الملك ، فيأمر صاحب الديوان أن يكتب ذلك في الديوان مع إسم كل مقاتل فيعرف بلاء كل وأحد منهم ، ويحسن جوائزهم ليكون دافعاً لغيرهم ، فكان الرجل من الاساورة اذا أراد أن يفتخر يقول انظروا في ديوان الجيش ، ليروا بلاءه وشجاعته في الحروب (كمال، 1979م، الصفحات 187 – 331) ، ويبدو من هذا أن ديوان الجيش أيام الدولة الساسانية كان أشبه بصحيفة أعمال كل مقاتل ، لذلك كان قادة الجيش اذا ما أرادوا الإعداد لحملة عسكرية أو الخروج لقتال الأعداء أحضروا ديوان الجيش واختاروا منه المقاتلين وفقاً لسيرتهم وأعمالهم المثبتة في الديوان ، فعندما أراد الملك سابور ذو الاكتاف (309–379م) مهاجمة العرب نظر في ديوان الجيش واختار ثلاثة آلاف مقاتل من ذوي البأس والشدة (البلخي، 2001م، صفحة 67) ، وعندما تعرض خاقان الترك للحدود الشرقية للدولة الساسانية أعطى الملك هرمز الرابع (579 –590م) قيادة الجيش إلى القائد بهرام جوبين وأمره بالخروج لقتال الترك فسأله بهرام أن يأمر كاتب ديوان الجيش أن يعرض عليه أسماء المقاتلة لينظر في حالهم ويختار من يصلح منهم ، فانتخب بهرام اثني عشر ألف مقاتل منهم (محمد ا.، 1997م، صفحة 180) .

وكان توزيع الأرزاق على الجند يتم وفقاً لجرائد أو دفاتر الديوان (علي ا.، 1989م، الصفحات 228 – 229) ، وكانت جميع الأعمال في هذا الديوان تتم تحت إشراف كاتب ديوان الجيش (العارض) (داود، 2001م، الصفحات 123 – 124) ، ومن المؤكد أنه كان ملماً بالشؤون العسكرية لا سيما متطلبات الجند الحربية ، ومن أبرز واجباته توزيع رواتب الجند في أوقاتها ، وإدراج المقاتلين الجدد وإسقاط من لا يصلح منهم للخدمة (عادل، 1981م، الصفحات 186 – 187) والإشراف على تجهيزات الجيش (عادل، 1981م، صفحة 183) ، فضلاً عن إشرافه على تدريب المقاتلة (عادل، 1981م، الصفحات 186 – 187) . وله صلاحية عرض الجند للإطلاع على تنظيم الجيش والكشف عن مدى استعدادهم القتالي (عادل، 1981م، صفحة 331) ، وقد أشرت لنا المصادر بعض الشخصيات التي تولت الإشراف على ديوان الجيش كان أبرزهم (بابك بن النهروان) (داود، 2001م، صفحة 122) في عهد الملك كسرى الأول (531–579م) وكان موصوفاً بالعقل والنبل والنباهة والكفاءة والحزم (جرير، 2005م، صفحة 377) ، وقد طلب من كسرى الأول أن يكون عرض الجيش كل أربعة أشهر ، وبالغ في متابعة التدريب ومحاسبة معلمي الفروسية والرمي في حال تقصيرهم (داود، 2001م، صفحة 122)، وقد صورت لنا المصادر طريقة عرض الجيش فكان يُنصب لمتولي الديوان منصة مرتفعة في الميدان ثم ينادي مناديه (لا يبقين أحد من المقاتلة الا حضر العرض) (داود، 2001م، صفحة 122) في كامل كراعهم وأسلحتهم ، ثم يبدأ استعراض الجند فيفتش في عددهم وتجهيزاتهم ومدى استعدادهم (جرير، 2005م، صفحة 377)، ويذكر ان في أحدى المرات أمر متولي الديوان (بابك بن النهروان) بعرض الجند فلما مرّوا عليه لم يرَ كسرى الأول بينهم فأمرهم بالانصراف ، وفعل ذلك في اليوم التالي ولم يرَ الملك بينهم فصرفهم ، وفي اليوم الثالث نادى مناديه (أيها الناس لا يتخلف من المقاتلة أحد ولا من أُكرم بالتاج والسرير فانه عرضٌ لا رخصة فيه ولا محاباة) ، وبلغ كسرى ذلك فتسلح بسلاحه وركب واستعرض أمام (بابك) بسلاح تام عدا وترين احتياط يعلقها الفارس على ظهره ، فلم يجز (بابك) على اسمه وذكّره بالوترين فعاد كسرى وعلق الوترين ، واستعرض أمامه من جديد فأجاز على اسمه (داود، 2001م، الصفحات 123–124) . ومن الواضح ان عرض الجند كان يتم في وقت السلم ، وقبل المعركة للوقوف على جاهزية الجيش ، ويجري ايضاً بعد انتهاء المعارك للاطلاع على الخسائر في الأرواح والمعدات لغرض تعويضها . كما يتم عرض الجيش في المناسبات والأعياد ، فيذكر ان كسرى الثاني(590–628م) خرج في أحد الأعياد، وقد صُفَّت له الجيوش والعدد والسلاح وفيما صُفّ له ألف فيل فلما نظرته الفيلة سجدت له وبسطت خراطيمها ولم ترفع رؤوسها الا بعد ان راطنها الفيالون ، فقال كسرى ليت الفيل لم يكن هندياً وكان فارسياً (علي ا.، 1989م، صفحة 290)، ويتم عرض الجيش ،احياناً، قبل بدء القتال حيث يقوم قائد الجيش بعرض قواته أمام أنظار جيش العدو لغرض التأثير على

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

معنوياتهم (الله، 1393هـ، صفحة 296) ، أما في الولايات فكان عرض الجيش يتم بإشراف القائد العسكري والقاضي وأمين أو ممثل عن الملك (يعقوب، 2002م، صفحة 134).

إن المكانة الكبيرة التي تتمتع بها كاتب ديوان الجيش جعلته من بين الشخصيات البارزة والمؤثرة في البلاط الساساني ، وقد مكنه هذا من التدخل في الحياة السياسية ، فيذكر ان (جودرز) كاتب ديوان الجيش كان من بين الاشراف الذين حاولوا منع بهرام الخامس (420 – 438م) من تولي العرش ، وكان (يزدك) كاتب ديوان الجيش في عهد كسرى الثاني (590 –628م) قد خرج مع الجيش المتوجه لقتال الترك (داود، 2001م، صفحة 134) ، كما انه رافق كسرى الثاني عند هروبه إلى الدولة البيزنطية بعد تمرد بهرام جوبين (داود، 2001م، صفحة 365).

ومن هذا يتبين ان ديوان الجيش كان من الدواوين المهمة عند الساسانيين ، ويبدو ان السبب في ذلك هو النزعة العسكرية التي عرفت بها الدولة الساسانية .

المبحث الثاني

الدوواوين الثانوية الأدارية

اولاً: ديوان البريـد:–

ومهمة هذا الديوان القيام بالخدمات البريدية ولاسيما نقل الرسائل والتقارير والأوامر وتامين الاتصال بين الحكومة المركزية والولايات التابعة لها ، ومع الدول الأخرى (سعيد، 1331هـ، صفحة 233) .

لقد عرف الفرس النظام البريدي منذ القدم ، فيذكر أن الملك الاخميني دارا الأول (521–486 ق.م) هو أول من أنشأ ديواناً للبريد ، وأنشأ لذلك محطات على الطرق ورتب لها خيولاً مقطوعة الأذناب علامة لها (الحسن، 1961م، صفحة 38) ، وأرسل أصحاب البريد الى جميع الممالك والولايات التابعة للدولة حيث وضع في كل بلد صاحب بريد ، ولم يستخدم لهذه المهمة سوى الناس العقلاء الذين كانوا موضع ثقته (البلخي، 2001م، صفحة 60) وقد كان البريد الساساني صورة متجددة عن النظام البريدي الاخميني الذي أثار إعجاب الاسكندر المقدوني (336 – 323ق.م) (جواد، 1980م، صفحة 60) . فقد كان الرسل وسعاة البريد يستعملون خيولاً قوية تستبدل بخيول جديدة في محطات البريد المنتشرة على طول الطرق بعد ان يكونوا قد قطعوا مسافات تتعب جيادهم ، وكان سعاة البريد يوصلون الرسائل الصادرة من العاصمة الى أقرب مركز بريد فيتسلمها حملة بريد غيرهم يوصلونها بدورهم الى مركز البريد التالي ، وهكذا كانوا في حركة دائمة ليل نهار ، فكانت أوامر الدولة ورسائلها تصل بسرعة الى الأماكن الموجهة اليها ، ومن الراجح ان المراكز البريدية التي أقيمت على طرق المواصلات كان فيها سجلات تدون فيها الطرود المنقولة بين عمال البريد ووقت وصول الساعي إليها ، ووقت انطلاقه .

لقد كان النظام البريدي في العصر الساساني مستثمراً لخدمة الدولة ومصالحها، وقد أدرك الساسانيون أهمية الطرق بوصفها الرابط الحيوي بين ولايات الدولة والعاصمة، ولهذا كانوا يحافظون على صلاحيتها، وسعوا إلى تأمينها لتسهيل عمل سعاة البريد مما يؤمن للسلطة المركزية متابعة عمل الحكام والاطلاع على ما يجري في أطراف الدولة، وتحركات الأعداء (حسن، بلا . ت، صفحة 304)، فكان نقل البريد في المناطق الجبلية يتم بواسطة سعاة بريد راجلين ، وسعاة بريد راكبي الجمال في المناطق الصحراوية (حسن، بلا . ت، صفحة 304)، وكانت الأوامر الملكية والمراسلات الصادرة من البلاط سواء الخارجية منها والداخلية تختم بخاتم الملك ، ويذكر أن خاتم بريد الملك كسرى الأول كان فصهُ ياقوتاً أحمر نقشهُ الرجاء (علي ا.، 1989م، صفحة 277) .

ولم يقتصر عمل ديوان البريد على نقل المراسلات وإنما انيطت بالعاملين في هذا الديوان مهمة أخرى ، اذ كان عليهم أن يرفعوا الى الملك كل ما يدور من أخبار في الولايات من الحسن والقبيح والمعوج والمستقيم (محمد ا.، 1997م، صفحة 160)، فكان هنالك نظاماً معيناً للتقارير السرية ، ولهذا كان يطلق ،أحياناً ،على ديوان البريد اسم (ديوان الخبر) ، والموظف المشرف عليه اسم (صاحب الخبر والبريد) (البلخي، 2001م، صفحة 87) ، وهذا الاسم يدل على توليه وظيفتين مترابطتين ، فقد كان له نواب وسعاة بريد كثيرون في جميع أنحاء الدولة يعلمونه بكل ما يستجد من أخبار بأسرع ما يمكن ليعرضها أمام أنظار الملك (البلخي، 2001م، الصفحات 87–88)، وكان ديوان

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

البريد ينشط في أثناء الحروب لضمان التواصل بين قادة الجيش والحكومة المركزية ، ونقل كل ما يدور في ساحة المعارك ، وما يصدر عن البلاط الملكي من أوامر (سعيد، 1331هـ، صفحة 233) ، ثم عليه ان ينقل أخبار قادة الجيش ومدى اندفاعهم في قتال الأعداء ، فعندما خرج القائد بهرام جوبين لقتال الترك أرسل الملك هرمز الرابع وراءه صاحب الخبر لينقل اليه أخباره . وهكذا كان ديوان البريد من الدواوين التي حظيت باهتمام الملوك الساسانيين ، ولهذا كان متولي هذا الديوان يعد من المناصب الكبيرة وهو أحد أعوان الملك وكان اختياره من بين أهل القلم والفطنة والنباهة (البلخي، 2001م، صفحة 87).

ثانياً : ديوان الرسائل:

ذكر (مسكويه) (يعقوب، 2002م، صفحة 78) ان ديوان الرسائل أسس بعد عهد الملك بشتاسب بن لهراسب وأطلق على متولي هذا الديوان لقب (دبيرقد) ، وقد اظهر الاخمينيون اهتماماً واضحاً في إنفاذ الرسائل وسرعة الإجابة عليها ، لذلك جعلوا في كل ولاية ديواناً للرسائل يتولى إعداد المخاطبات مع العاصمة ، ويرأسه رجلاً مدنياً يتصل بصفة دائمة مع كتاب البلاط ، ويُطلع الملك على كل ما يدور في ولايته (كمال، 1979م، صفحة 131).

ويعد ديوان الرسائل أكثر الدواوين أهمية ، فعليه تقع مهمة إعداد مكاتبات الملك الخارجية والداخلية ، واستلام الرسائل الواردة الى العاصمة من الولايات او من الدول الخارجية (سعيد، 1331هـ، صفحة 333) ، وقد احتل كُتّاب الرسائل أهمية كبيرة عند الملوك الساسانيين ، فقد كانت المراسلات الملكية تعتمد على مهارة هؤلاء الكُتّاب في اختيار الألفاظ والتعابير المناسبة ، ولهذا كان الساسانيون يسمون كُتّاب الرسائل (الألسن الناطقة عن الملوك) (عبدوس، 1938م، صفحة 3)، إذ كانوا يعنون بالشكل فالوثائق والمراسلات الرسمية يجب ان تصاغ صياغة أنيقة ، فتختلط بها نبذ من أقوال الحكماء ، والنصائح الدينية ، والألغاز ، لكي تكون الرسالة قطعة جميلة ، كما ان الطريقة التي تصاغ بها يجب ان تراعي الفوارق بين رتبة المُرْسِل والمُرْسَل إليه مراعاةً دقيقة (أرثر، 1982م، الصفحات 121–122)، فكان على كاتب الرسائل ان يضع في الديوان دفتراً يحتوي على أسماء الملوك والحكام والولاة وغيرهم من ذوي المقامات الرفيعة ، وألقابهم وترتيبهم ، وتحت كل اسم كيف يخاطب ومقدار الدعاء له (علي ا.، 1913م، صفحة 169)، ولهذا كان الملوك الساسانيون يسمونهم (تراجمة الملوك) (عبدوس، 1938م، صفحة 169) ، وكانوا يقولون لهم لا تحملكم الرغبة في تخفيف الكلام على حذف معانيه وترك ترتيبه والإبلاغ فيه وتوهين حجمه (عبدوس، 1938م، صفحة 2) ، وكان عليهم في الكتابة للأعداء وخصوم الملك أن يراعوا الظروف التي تمر بها الدولة فيطبعوا كتاباتهم بالمسالمة أو التهديد والوعيد (أرثر، 1982م، صفحة 123) ، فيذكر إن الملك كسرى الأول (531 – 579م) قد استدعى كاتب الرسائل ليرد بنفسه على رسالة خاقان الترك ، وقد رد عليه بكتاب مشحون يصف قوته وشدة شوكته (محمد ا.، 1997م، صفحة 143)، وكتب الى الإمبراطور البيزنطي ينصحه ويَعظه ويأمره بأن لا يتجاوز أرضه ، وإلا استباح تاجه وعرشه .

في حين نجد أن الملك كسرى الثاني (590 –628 م) عندما هرب من بهرام جوبين وقرر اللجوء الى الإمبراطور البيزنطي أمر كاتبه(خرّاد برزين) ان يكتب رسالة الى الإمبراطور (موريق) وقال له(اكتب الى قيصر كتاباً عباراته معسولة ، والفاظه مشمولة ، ومعانيه كثيرة ، وكلماته قليلة ، بحيث تعلق بالطباع وتثبت في الخواطر وتسلم من الحشو حتى لا يعيبه من عنده من فضلاء الفلاسفة) (محمد ا.، 1997م، صفحة 207)، وبسبب أهمية ديوان الرسائل فقد كان الملوك الساسانيون يختارون أفضل كُتّاب المملكة للعمل فيه (أرثر، 1982م، صفحة 233) ، ويقدموهم على من سواهم ، ويلقون اليهم أسرارهم ، ويخصونهم بخفايا أمورهم ويطلعونهم على ما لم يطلع عليه أخصّ الاخصاء من الوزراء والأهل (علي ا.، 1913م، صفحة 135)، فقد وُصِف (يزدجرد) كاتب رسائل الملك كسرى الأول بأنه كان (كاتبه وصاحب سرّه) ، وكان يتولى فضُّ رسائل الملوك الواردة الى البلاط الملكي (محمد ا.، 1997م، صفحة 143).

وبسبب المهام الكبيرة التي يتولاها ديوان الرسائل فقد كان لمتولي هذا الديوان أعوان من أفضل الكتاب يعملون تحت يده ، وكان عليه ان يُحسن ضبط الرسائل الصادرة ، وان يتصفح كل ما يكتب في ديوانه ، فما أبصره من خطأ أصلحه ونبّه كاتبهُ وان تكرر منه زجره على ذلك ، فقد كان الغرض الأعظم أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطاً ولفظاً ومعنىً حتى لا يوجد فيه مطعناً (علي ا.، 1913م، صفحة 174). وكان على متولي الديوان أن يعمل فهرستاً لما يترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان الفارسي ،

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

فيذكر أن في البلاط الساساني كاتب مختص بالشؤون العربية يعمل ترجماناً وكاتباً للملوك (احمد ا.، 1986م، صفحة 181)، وابرز من تولى هذه المهمة زيد بن حماد العبادي (الحسن، 1961م، الصفحات 92 – 93)، وابنه عدي الذي عمل ترجماناً للملك كسرى الثاني (علي ا.، 1989م، صفحة 106)، فضلاً عن وجود ترجمان مختص باللغة الرومانية (الفردوسي، 1932، ص 207)، وآخر باللغة الهندية (جرير، 2005م، صفحة 411) .

لقد كانت إدارة المراسلات أحد ابرز الإدارات التي اعتنى بها الملك اردشير الأول(224–241م) والملوك من بعده ، لأنها ترمز الى وحدة الدولة وهيمنة الإدارة المركزية في الداخل ورفع مقامها في الخارج (رائف، 1969م، الصفحات 117–118) ، وان هذه الأهمية جعلت كاتب الرسائل ضمن الارستقراطية الساسانية ويعد من المراكز المهمة في الدولة ، وهذا اتاح له الاشتراك في الحياة السياسية ، فعندما تعاقد عظماء الدولة وأهل البيوتات أن لا يملكوا أحد من أبناء الملك يزدجرد الأول(399–420م) ، وكان من بين أبنائه بهرام الخامس (420–438م) الذي استعان بجيش الحيرة لردعهم ، فاجتمع رأي العظماء واهل البيوتات على إرسال متولي ديوان الرسائل المسمى (جواي) مندوباً عنهم للتفاوض مع بهرام الخامس ، وقد أسفرت جهوده الى عقد اتفاق بين بهرام الخامس والعظماء يقضي بتولي بهرام العرش (جرير، 2005م، الصفحات 335–336) ، ويذكر ان (خراد برزين) كاتب الرسائل قد رافق كسرى الثاني(590–628م) عندما لجأ الى الإمبراطور البيزنطي بعد تمرد القائد بهرام جوبين . وكان (يزدان جشنس) كبير كتاب الرسائل قد شارك مع العظماء والأشراف في عزل الملك كسرى الثاني وسجنه ونقل اليه رسالة العظماء التي تضمنت أسباب عزله (داود، 2001م، صفحة 158) .

وقد حرص الملوك الساسانيون على سرعة إيصال المعلومات بين المركز والأطراف ولهذا فقد جعلوا في كل ولاية ديواناً للرسائل ، ويذكر أن الملك كسرى الثاني أبدى عدم ارتياحه لرائحة كتب حكام الولايات وصحائف الخراج لذا أمر عماله أن لا يرسلوا كتبهم إلا بعد غمسها بماء الورد او الزعفران (جابر، 1996م، صفحة 450) ، ولعل هذا الإجراء صار جزءاً من متطلبات ديوان الرسائل .

ثالثاً : ديوان الأوقـاف :–

أختصّ هذا الديوان بإدارة أوقاف الدولة ، وهو على ما يبدو يشبه دائرة عقارات الدولة في الوقت الحاضر ، وقد اشارت المصادر إلى ك (سعيد، 1331هـ، صفحة 78)اتب الأوقاف (روانه كان دبير) (احمد ا.، 1923م، صفحة 72) ، وهو من أهم موظفي هذا الديوان ، ويبدو أن عمله كان يتركز في إحصاء أوقاف الدولة ، ولاسيما العقارات وطرق استغلالها وإيراداتها السنوية.

وكذلك كانت مهمته إدارة الشؤون الدينية ولاسيما بيوت النيران وأوقافها (احمد ا.، 1923م، صفحة 434) ، التي كانت تشكل مصدراً رئيساً لموارد المؤسسة الدينية المالية ، فضلاً عن مدخولاتها من غرامات التكفير عن الذنوب وعقود الزواج والطلاق ولما كان حجم التبادل المالي الذي اضطلعت به بيوت النيران في تراكم مستمر فقد تولى هذا الديوان تنظيم حساباتها وإدارة أوقافها ، ولاسيما الأراضي الزراعية ، فضلاً عن تنظيم العقود التجارية والقروض بين الأشخاص ، وحفظ الوثائق المختومة من قبل الدائن والمدين (نصير، 2010م، صفحة 343) . ومن أبرز موظفي هذا الديوان هو كاتب حسابات بيوت النيران (آتش امار دبير) (احمد ا.، 1923م، صفحة 72) .

الاستنتاجات

بعد الفراغ من كتابة هذا البحث، وفي ختام هذه الدراسة لابد لنا من الوقوف على أهم النتائج التي تم التوصل لها وكما يأتي :

1– استوعب الساسانيون حضارات وثقافات دول الشرق الأدنى التي سبقتهم ولاسيما حضارات الدول الفارسية التي قامت في بلاد إيران ، وتفاعلوا مع إرثها الحضاري في الإدارة والحكم فاقتبسوا من تنظيماتها الإدارية ما يتلاءم مع رؤيتهم في إدارة الدولة . وأجروا تعديلات على قسمٌ آخر منها لتكون قادرة على مواكبة حركة التطور الذي شهدته الدولة الساسانية عبر مراحلها الزمنية .

2– لقد كانت الدواوين تمثل المكاتب التي تدار منها الدولة ، وعلى الرغم من ان الساسانيين قد ورثوا بعض هذه المؤسسات عن أسلافهم ،غير أنها تطورت وتوسعت وتعددت مهامها في عصرهم تنوعت اختصاصاتها الإدارية.

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

3– لم يكن قيام الدولة الساسانية حدثاً سياسياً فحسب بل امتاز بظهور روح جديدة في الدولة أبرز ما يميزها تنظيمها الإداري الذي صار أحد المعالم الحضارية للدولة ، وقد تألف الجهاز الإداري لمؤسسات الدولة من عدد كبير من الموظفين الإداريين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

قائمة المصادر:

ابن البلخي. (2001م). كان حياً في القرن الخامس الهجري ، فارس نامة، تحقيق: يوسف الهادي. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

ابن النديم، محمد بن إسحاق. (1987م). الفهرست. بيروت: دار المعرفة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1984م). مقدمة ابن خلدون، ط5. بيروت: دار القلم.

احمد. (1376 هـ). التعريف بطبقات الامم، تحقيق: غلام رضا جشميد. تهران: ميراث مكتوب.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد. (2005م). المستطرف في كل فن مستظرف، تعليق: أسعد حسن محمد. القاهرة: مكتبة الصفاء.

الاصفهاني، حمزة بن الحسن. (1961م). تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط2. بيروت: مكتبة الحياة،.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر. (1996م). فتوح البلدان، تحقيق: سهيل زكار، وآخرون. بيروت: دار الفكر.

الجهشياري، محمد بن عبدوس. (1938م). الوزراء والكتاب. مصر: مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي.

الخوارزمي، محمد بن احمد. (1923م). مفاتيح العلوم. القاهرة: مطبعة الشرق.

الدينوري، محمد بن داود. (2001م). الأخبار الطوال. بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، عبد الله. (1393هـ). تاريخ مفصل ايران ازتأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر، جاب دوم. تهران: جاب انتشارات اقبال.

الطبري، محمد بن جرير. (2005م). تاريخ الأمم والملوك. بغداد: دار الكتاب العربي.

العابد، مفيد رائف. (1969م). معالم تاريخ الدولة الساسانية، (عصر الكاسرة). دمشق: دار الفكر.

الفردوسي، ابو القاسم محمد. (1997م). الشاهنامة، ترجمة: الفتح بن علي البنداري، تصحيح وتعليق: عبد الوهاب عزام. بلا.ط: طهران.

القلقشندي، احمد بن علي. (1913م). صبح الأعشى في صناعة الانشا. القاهرة: مطبعة حكومة الكويت.

الكعبي، نصير. (2010م). جدلية الدولة والدين في الفكر الشرقي القديم، إيران العصر الساساني أنموذج. بغداد: منشورات دار الجمل.

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي. (1989م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، قاسم الشماعي الرفاعي. بيروت: دار القلم.

المناوي، محمد عبد الرؤوف. (1410هـ). التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الدابه. بيروت: دار الفكر.

باقر طه – ورشيد – فوزي – والهاشمي – رضا جواد. (1980م). تاريخ ايران القديم. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.

بيرنيا، حسن. (بلا . ت). تاريخ إيران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة: محمود نور الدين، والسباعي محمد السباعي. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

حلمي، احمد كمال. (1979م). 3500 عام من عمر إيران. الكويت: بلا . ط.

ديورانت. (2001م). قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران. القاهرة: النهضة المصرية العامة للكتاب.

كرستنسن، أرثر. (1982م). إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب. بيروت: دار النهضة العربية.

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

كمال، احمد عادل. (1981م). القادسية، ط6. بيروت: دار النفائس.

مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب. (2002م). تجارب الأمم وتعاقب الأمم، تحقيق: سيد كسروي. بيروت: دار الكتب العلمية.

نفيسي، سعيد. (1331ه). تاريخ تمدن إيران ساساني. تهران: جاب خانة دانشكاه.

قائمة المصادر المترجمة باللغة الانكليزية

Ibn al-Balkhi. (2001). He lived in the 5th century AH. Farsnameh, edited by Yusuf al-Hadi. Cairo: Al-Dar al-Thaqafiya for Publishing.

Ibn al-Nadim, Muhammad ibn Ishaq. (1987). Al-Fihrist. Beirut: Dar al-Ma'rifah.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad. (1984). Muqaddimah Ibn Khaldun, 5th ed. Beirut: Dar al-Qalam.

Ahmad. (1376 AH). Al-Ta'rif bi-Tabaqat al-Umam, edited by Ghulam Reza Jashmid. Tehran: Mirath Maktub.

Al-Abshihi, Shihab al-Din Muhammad ibn Ahmad. (2005). Al-Mustatraf fi Kull Fann Mustazraf, commentary by As'ad Hasan Muhammad. Cairo: Maktabat al-Safa.

Al-Isfahani, Hamza ibn al-Hasan. (1961). Tarikh Sini Muluk al-Ard wa al-Anbiya', 2nd ed. Beirut: Maktabat al-Hayat.

Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir. (1996). Futuh al-Buldan, edited by Suhayl Zakkar and others. Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Jahshiyari, Muhammad ibn Abdus. (1938). Al-Wuzara' wa al-Kuttab (The Ministers and the Scribes). Egypt: Abd al-Hamid Ahmad Hanafi Press.

Al-Khwarizmi, Muhammad ibn Ahmad. (1923). Mafatih al-'Ulum (Keys to the Sciences). Cairo: Al-Sharq Press.

Al-Dinawari, Muhammad ibn Dawud. (2001). Al-Akhbar al-Tiwal (The Long Chronicles). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

Al-Razi, Abdullah. (1393 AH). Tarikh Mufassal Iran iz Ta'sis Silsilat Madat 'Asr Hadir (A Detailed History of Iran: The Foundation of the Modern Era Series), 2nd ed. Tehran: Iqbal Publications.

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2005). Tarikh al-Umam wa al-Muluk (History of Nations and Kings). Baghdad: Dar al-Kitab al-'Arabi.

Al-'Abid, Mufid Ra'if. (1969). Ma'alim Tarikh al-Dawla al-Sasananiyya (Asr al-Kasira). Damascus: Dar al-Fikr.

Al-Firdawsi, Abu al-Qasim Muhammad. (1997). The Shahnameh, translated by Al-Fath ibn Ali al-Bandari, edited and annotated by Abd al-Wahhab Azzam. Publisher: Tehran.

Al-Qalqashandi, Ahmad ibn Ali. (1913). Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha. Cairo: Kuwait Government Press.

Al-Ka'bi, Nasir. (2010). The Dialectic of State and Religion in Ancient Eastern Thought: Sasanian Iran as a Model. Baghdad: Dar al-Jamal Publications.

Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn ibn Ali. (1989). Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar, edited by Qasim al-Shama'i al-Rifa'i. Beirut: Dar al-Qalam.

Al-Manawi, Muhammad Abd al-Ra'uf. (1410 AH). Al-Tawqif 'ala Muhimmat al-Ta'arif, edited by Muhammad Ridwan al-Dabba. Beirut: Dar al-Fikr.

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567

Baqir Taha, Rashid Fawzi, and al-Hashimi Rida Jawad. (1980). Tarikh Iran al-Qadim. Baghdad: Baghdad University Press.

Birnia, Hasan. (n.d.). Ancient History of Iran from the Beginning to the End of the Sasanian Era, translated by Mahmoud Nour El-Din and El-Sebai Mohamed El-Sebai. Cairo: Anglo-Egyptian Library.

Helmy, Ahmed Kamal. (1979). 3500 Years of Iran's History. Kuwait: n.d.

Durant. (2001). The Story of Civilization, translated by Mohamed Badran. Cairo: Egyptian Renaissance General Book House.

Christensen, Arthur. (1982). Iran in the Sasanian Era, translated by Yahya El-Khashab. Beirut: Arab Renaissance House.

Kamal, Ahmed Adel. (1981). Al-Qadisiyya, 6th ed. Beirut: Dar El-Nafais.

Miskawayh, Ahmed ibn Muhammad ibn Yaqub. (2002). The Experiences of Nations and the Succession of Nations, edited by Sayyid Kasravi. Beirut: Scientific Book House.

Nafisi, Saeed. (1331 AH). History of Sasanian Iranian Civilization. Tehran: Jab Khaneh Daneshgah.

DOI: https://doi.org/10.47831/azyw3567